مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

حزب الله: تنظيم يُقاتل لأنه لا يستطيع التوقف

قراءة السلوك والغموض المقصود

إعداد: قسم الدراسات الاستراتيجية

مركز الخليج للأبحاث

تمهيد منهجي

تنطلق هذه الورقة من النظر إلى بيئة الصراع بوصفها بيئة غير متكافئة بامتياز، فإسرائيل تمتلك تفوقاً عسكرياً وتقنياً واستخباراتياً هائلاً، إلى جانب قدرة عالية على تنفيذ الاغتيالات الدقيقة والاختراقات المؤسسية والضربات الانتقائية. ويجري ذلك في ظل واقع دولي أثبت عجزه عن فرض قيود فعّالة على سلوك إسرائيل الحربي الإجرامي، أو تأمين حماية كافية للمدنيين، كما أن جرائمها وما خلّفته من مشاهد قاسية ووقائع موثقة لا ينكرها إلا جاحد أو متواطئ، ومع ذلك لا تنطوي هذه الورقة على أي تقليل من جسامة تلك الأفعال وما خلّفته من قتل واسع للمدنيين وتدمير ممنهج للبنية التحتية وانتهاكات موثقة طالما كانت محل نقد واعتراض واسع في الأدبيات السياسية والحقوقية والقانونية الدولية.

وفي هذا السياق، يطرح الاستقراء فرضية تحليلية لا حكماً مؤكداً، وتتمثل هذه الفرضية في أن جانباً من سلوك حزب الله في الاستمرار بالمواجهة رغم الخسائر البشرية والتنظيمية والاقتصادية المتراكمة قد يرتبط بحالة إدراك داخلية لدى بعض صانعي القرار في الحزب، ويقوم هذا الإدراك على الاعتقاد بأن خيارات الانسحاب الآمن أو إعادة التموضع السياسي المنظم أصبحت شديدة المحدودية وربما معدومة، غير أن هذه الفرضية تبقى واحدة من عدة احتمالات تفسيرية مشروعة، ولا يتفرد الاستقراء بترجيحها على سواها دون بيّنة كافية.

وعليه، يفعل هذا الاستقراء شيئاً واحداً محدداً: محاولة اكتشاف واقع إطار عمل حزب الله في المرحلة الممتدة من مطلع ٢٠٢٤م حتى مايو ٢٠٢٦م، والإجابة عن سؤال جوهري: هل يعمل الحزب وفق استراتيجية متماسكة يمكن تعريفها وتحليلها، أم أن ما نشهده مجرد سلوك تكيّفي يومي في غياب إطار استراتيجي واضح؟ والمنهج المعتمد هو الاستقراء السلوكي للأفعال الموثّقة – العسكرية والسياسية والإعلامية – مع إقرار صريح بأن الاستنتاجات هنا ليست إلا تفسيرات احتمالية لا يقينية، مقيّدة بحدود المصادر المفتوحة، فلا موقف مسبق هنا إيجاباً أو سلباً، والهدف الوحيد هو الفهم.

مقدمة تحليلية: ما الذي يدفع تنظيماً منهكاً للاستمرار؟

منذ اغتيال أمينه العام حسن نصر الله في سبتمبر ٢٠٢٤م، ثم تتابع اغتيالات خليفته وقياداته الميدانية، بدا المشهد وكأن حزب الله يدخل مرحلة مختلفة جوهرياً عن كل ما عرفه سابقاً، لم تعد المشكلة مجرد مواجهة عسكرية مع إسرائيل، بل أزمة وجود وإدارة أزمة واختراق مؤسسي واستنزاف خطير ومفتوح، وقد كشفت الأحداث عن درجة اختراق عميقة في بنية الحزب، في مجتمع لبناني شديد التعقيد تتداخل فيه الخصومات القديمة مع الانقسامات الحديثة، ومن بينها أصوات داخل الوسط اللبناني تُعبّر عن رأي مفاده أن الحزب تجاوز صلاحيات الدولة ورهن مصير لبنان بحسابات إقليمية تتجاوز قدرة البلد الاستيعابية رغم هزائمه المتواصلة.

كشفت الأحداث عن درجة اختراق عميقة في بنية الحزب، في مجتمع لبناني شديد التعقيد تتداخل فيه الخصومات القديمة مع الانقسامات الحديثة

ومع ذلك، استمرت الاغتيالات الإسرائيلية شبه اليومية، واستمرت الضربات الدقيقة التي طالت القادة والمخازن والأنفاق والبنى التحتية، بل ودُمرت بنى تحتية كثيرة، وفي المقابل كانت ولا تزال خطابات الحزب تعلن التحدي عقب كل اغتيال، غير أن تلك التهديدات كانت تتفتت سريعاً تحت وقع الضربة الإسرائيلية التالية، وبدا رد الحزب قياساً بحجم ما يتعرض له محدود الأثر نسبياً: طائرات مسيّرة، ورشقات صاروخية متقطعة، وعمليات استنزاف متفرقة.

وهنا يبرز السؤال المحوري لهذا الاستقراء: ما الذي يحكم هذا السلوك؟ هل ثمة استراتيجية متماسكة تُدار من مركز قرار واضح، أم أننا أمام سلوك تكيّفي تفرضه ضغوط لحظية لا خيار إرادي حُرّ؟ هل يراهن الحزب يائساً على عامل الزمن واستنزاف إسرائيل نفسياً وسياسياً؟ أم أن ارتباطاته الإقليمية الأوسع تجعله يتحرك في دور يتجاوز حدود لبنان؟ هذا هو السؤال الذي ستقاربه الصفحات التالية بأدوات التحليل السلوكي، مع الوعي التام بمحدودية ما يمكن استخلاصه من المصادر المفتوحة.

والنقطة الجوهرية هنا أن الحزب تلقى ضربة مباشرة في مركز ثقله القيادي والرمزي (حسن نصر الله)، ومع ذلك لم يظهر رد إيراني مباشر يتناسب مع حجم هذه الضربة. ومن ثم يمكن إدراج استنتاج مفاده أن أزمة الحزب لم تعد مرتبطة فقط بالمواجهة العسكرية مع إسرائيل، بل أيضاً ببنية الحزب نفسها وبقناعة كثير من قياداته بأن خروجهم من هيكل الحزب أو ذوبانهم الكامل داخل مؤسسات الدولة قد يجعلهم أهدافاً مكشوفة لقوى داخلية أو خارجية، من دون وجود ملاذ حقيقي آمن يحميهم. ولذلك فقد يدخل في هذا الاستنتاج أن استمرار التمسك بالبنية التنظيمية للحزب، رغم الخسائر المتراكمة، بات بالنسبة لبعض القيادات أقرب إلى خيار اضطراري وجودي، حتى وإن بدا في بعض جوانبه شبيهاً بحالة استنزاف أو اندفاع نحو مصير شديد الخطورة.

> **تلقى حزب الله ضربة مباشرة في مركز ثقله القيادي والرمزي (حسن نصر الله) ومع ذلك لم يظهر رد إيراني مباشر يتناسب مع حجم الضربة**

أولاً: جوهر الإطار – من «استراتيجية النصر» إلى «إدارة الاستمرارية"

لمن يحاول استيعاب إطار عمل حزب الله منذ هدنة الثامن من أبريل ٢٠٢٦م، لا بد أولاً من ملاحظة تحوّل ظاهر في طبيعة الخطاب والسلوك: الحزب –وفق قراءة سلوكية متأنية– لا يبدو وكأنه يعمل وفق إطار «استراتيجية النصر» بالمعنى التقليدي، أي تحقيق أهداف عسكرية وسياسية محددة وقابلة للقياس. ما يمكن ملاحظته أقرب إلى ما يمكن وصفه بـ "الاستماتة في الحفاظ على الاستمرارية التنظيمية» أو «إدارة مرحلة انتقالية ضاغطة». وهذا التحوّل –إن صح وصفه– هو ما يُصعّب على المراقبين وضع سلوك الحزب الراهن ضمن إطار عقلاني تقليدي.

يطرح التحليل تساؤلاً جوهرياً: تنظيم (حزب الله) فقد جزءاً كبيراً من بنيته القيادية والتحتية، ويواجه غزواً برياً وغارات جوية مستمرة، من عدو متوحش لا يراعي أية أعراف أو قوانين، كما يعاني الحزب من نزوح أكثر من ١,٢ مليون شخص من محيطه الاجتماعي، فكيف يمكن له أن يحتفظ بمبادرته الخطابية ويواصل عملياته العسكرية في آن واحد؟

والتفسير الأكثر انسجاماً مع السلوك الملاحظ –لا الأكثر يقيناً– هو أن هدف الحزب انتقل من "تحقيق النصر المُعلَن" إلى "إطالة أمد الضغط" بما يكفي لمنع الخصم من إعلان نصر سياسي وعسكري حاسم، حتى لو كان الثمن تآكلاً تدريجياً لمقدرات الحزب، بل الدولة. وهذا ما يمكن وصفه في الشأن اللبناني بـ "الربط المحكوم» بين الجبهة المحلية والسياق الإقليمي.

ولكن ينبغي التحفظ هنا صراحةً: هذا التفسير يبقى استنتاجاً تحليلياً لا يقينيًا، فليس ثمة وثيقة استراتيجية معلنة تؤكده، وربما يكون الحزب يتكيف فعلاً مع ضغوط يومية متلاحقة أكثر من كونه يُنفِّذ خطة مرسومة بدقة، والفارق بين الاثنين جوهري منهجياً ولا يُستهان به.

ثانياً: «الرفض المزدوج» – نمط السلوك في الهدنة والمفاوضات

في السادس عشر من أبريل ٢٠٢٦م، أُعلنت هدنة مؤقتة لمدة عشرة أيام برعاية أمريكية بين الحكومتين اللبنانية والإسرائيلية، بهدف فتح المجال لمفاوضات أوسع، برز في هذا السياق نمط سلوكي متكرر يمكن وصفه تحليلياً بـ "الرفض المزدوج»: رفض الاعتراف بالهدنة واعتبارها ذات مدلول قانوني أو سياسي، مع رفض موازٍ لمسار المفاوضات المباشرة بين الحكومة اللبنانية وإسرائيل، واصفاً مشاركة الدولة اللبنانية في محادثات واشنطن بأنها خطأ استراتيجي. وطبيعي هنا القول بأن رفض الهدنة مفهوم لكون إسرائيل لا تلتزم بالهدن أصلاً.

هذا النمط يُشكّل تحدياً تفسيرياً من منظور المصلحة اللبنانية العليا. غير أنه يصبح أكثر قابلية للفهم – لا بالضرورة أكثر مشروعية – حين يُقرأ في ضوء الارتباط الإقليمي الأوسع للحزب، فمن الملاحظ أن موقف الحزب يتقاطع مع الاعتبارات الاستراتيجية الإيرانية، التي تُبقي على استمرارية حزب اللّه المسلحة بوصفها أداة ردع ضمن جهود الوكلاء الإقليميين لإيران.

لكن يجب التنبّه إلى أن وصف العلاقة مع إيران إما بالتبعية الكاملة أو بالشراكة الندية كلاهما تبسيط يفتقر إلى الدقة التحليلية؛ فقد يكون الحزب محتفظًا بهامش من الاستقلالية التكتيكية حتى في الوقت الذي يسير فيه داخل الإطار الاستراتيجي الإيراني العام، والتمييز بين هذين المستويين ضروري لفهم سلوكه دون اختزاله.

ورغم أن هذا الاستقراء لا يُعنى أساساً بتحليل السياسة الإسرائيلية، إلا أنه من الأهمية بمكان الإشارة ضمن هذا السياق إلى أن إسرائيل –فيما يبدو– لا ترغب فعلياً في إنهاء حالة الاشتباك المزمن مع حزب اللّه بصورة نهائية. فمن منظور استراتيجي، كان بإمكانها –لو أرادت فعلاً تجفيف مبررات الحزب وإضعاف شرعيته القتالية– أن تنسحب كلياً من جميع الأراضي اللبنانية، بما في ذلك مزارع شبعا – بضمانات دولية – وأن تترك أي خلاف حدودي محتمل بين لبنان وسوريا بعيداً عنها.

> **قد يكون الحزب محتفظًا بهامش استقلالية تكتيكية في الوقت الذي يسير فيه داخل الإطار الاستراتيجي الإيراني والتمييز بين المستويين ضروري لفهم سلوكه دون اختزاله**

إلا أن إبقاء ملفات ونقاط اشتباك مفتوحة يبدو أنه يخدم إسرائيل بوصفه مبرراً دائماً لاستمرار عملياتها العسكرية، وتوسيع هامش تدخلها الأمني والعسكري في لبنان والمنطقة، تماماً كما تستخدم التهديدات المحيطة لتبرير سياسات القوة والتوسع والردع المستمر.

ثالثاً: الاستنزاف التكنولوجي – أين اختفت أسلحة الأنفاق وأسرار الهدهد؟

الأبرز في السلوك الأخير للحزب هو الاعتماد على منطق الاستنزاف المتدرج بدلاً من المواجهة الحاسمة، إن كان حقا قادرًا عليها في الأصل. فوفقاً للتحليل الممكن يسعى الحزب إلى إبقاء ضغط متواصل على الجبهة الداخلية الإسرائيلية عبر سلسلة منتظمة من الطائرات المسيّرة والمنظومات الصاروخية، مع هدف مواز يتمثّل في استنزاف منظومات الدفاع الجوي. وما يبدو أنه يُحدد أولويات الحزب بناءً على السلوك الملاحظ هو استمرارية الهجمات كمؤشر بقاء تنظيمي –أي أن الحزب موجود– لا قياس الأثر المادي الفعلي المباشر فحسب.

وثمة سؤال يفرض نفسه بإلحاح حين يستعيد المرء تلك المشاهد: حسن نصر الله يتجول بنفسه داخل أنفاق شاهقة الاتساع، يمر بين صفوف صواريخ وأسلحة هائلة لم تألفها العين، وتُبثّ تلك المشاهد للعالم في استعراض مدروس يوحي بقوة لا تُقهر. فإذا كان كل ذلك حقيقياً لا إخراجاً، فأين اختفت تلك الترسانة حين حصحص الحق واشتعلت المواجهة الكبرى؟ وإذا كانت المعلومات التي جمعتها طائرة «الهدهد» المسيرة عن العمق الإسرائيلي بالغة الدقة والشمول كما صُوِّر، فلماذا ذهبت أدراج الرياح ولم تُترجَم إلى فعل يُحدث أثراً؟ وهنا يطفو السؤال الأشد وطأة: هل خَدع الحزب جمهوره بتلك الاستعراضات، أم أنه خَدع نفسه قبل غيره، وآمن بأسطورة قوته حتى لحظة اصطدامه بحجم الهوة بين المشهد المُصوَّر والواقع المُجرَّب؟ فالمعارك الكلامية مهما بلغت براعتها لا تصمد حين تحل محلها المعارك الحقيقية.

> هل خَدع الحزب جمهوره بالاستعراضات أم خَدع نفسه قبل غيره وآمن بأسطورة قوته حتى لحظة اصطدامه بحجم الهوة بين المشهد المُصوَّر والواقع المُجرَّب؟

على صعيد التنسيق الإقليمي، يمكن الاشارة إلى تطور دور الحزب نحو ما يشبه «الجبهة الموازية» في سياق التوترات الإيرانية–الأمريكية–الإسرائيلية. ويُلاحَظ تنسيق العمليات بحيث تعمل مسيّرات الحزب على تشتيت منظومات الدفاع الجوي الإسرائيلي، ما قد يُتيح نظرياً هامشاً أوسع لصواريخ إيرانية، غير أن التحقق من درجة التنسيق الفعلي وآلياته يبقى عسيراً من المصادر المفتوحة ولا يمكن الجزم به.

على المستوى الميداني، وثّقت وسائل إعلام متعددة استخدام الحزب مسيّرات منخفضة التكلفة ومُعدَّلة، بعضها يعمل بالألياف الضوئية لمقاومة التشويش الإلكتروني، وفي مناطق الاشتباك البري يبدو أن الحزب يُطبّق تكتيك «الاستنزاف دون مواجهة مباشرة»: عبوات ناسفة، وكمائن صغيرة، وهجمات متقطعة تهدف إلى الحيلولة دون تثبيت وجود إسرائيلي عسكري مستقر، ودون أن تُشكّل مواجهة تقليدية مكلفة، هذا النمط يعكس تكيّفاً مع الواقع الميداني أكثر من كونه تعبيراً عن خطة هجومية مُصمَّمة مسبقاً.

رابعاً: الجبهة اللبنانية الداخلية – التعقيد الأصعب

أحد أكثر جوانب إطار عمل الحزب تعقيداً هو إدارته للبيئة الداخلية اللبنانية، فالحزب ليس مجرد ميليشيا خارج الدولة، بل شريك أساسي في منظومة الحكم اللبنانية القائمة على المحاصصة الطائفية والسياسية؛ إذ حصل هو وحلفاؤه، ولا سيما حركة أمل، على وزارات مؤثرة في حكومات متعاقبة، وفق التوازنات السياسية السائدة، فهذا الالتحام الهيكلي بين التنظيم ومؤسسات الدولة يخلق معادلة بالغة التعقيد: فالمطالبة بنزع سلاح الحزب تعني مواجهة كيان مُندمج في بنية الحكم الرسمي، وهو ما يُعقّد أي حل حقيقي يمكن تنفيذه.

غير أن الحرب الأخيرة كشفت تصدعات بنيوية في واقع أدوار الحزب، فقد أفضى التصعيد الإسرائيلي إلى تهجير ما يزيد على مليون شخص معظمهم من المناطق ذات الغالبية الشيعية، ووثّقت التقارير صعود أصوات انتقادية داخل الوسط الاجتماعي للحزب، يرى بعضها أن الحزب يورط مجتمعه في معركة ذات أبعاد إقليمية يدفع ثمنها التهجير والدمار الهائل وانتهاك الاستقرار اليومي.

وفي تطور ذي دلالة سياسية واضحة، أعلن الرئيس اللبناني جوزيف عون في يناير ٢٠٢٦م عن توجه نحو مفاوضات مباشرة مع إسرائيل برعاية دولية، وهي المرة الأولى منذ سنوات التي تُحاول فيها الدولة اللبنانية استعادة زمام مسارها الدبلوماسي باستقلالية، وهذا التطور يضع الحزب أمام ضغط مزدوج: ضغط داخلي من دولة تتحرك باستقلالية متزايدة، وضغط اجتماعي من مجتمع يُبدي علامات تعب وإنهاك. وهنا، كيف سيتعامل الحزب مع هذه الضغوط يُحدد إلى حد بعيد، مآلاته في المرحلة المقبلة.

كيف يمكن تفسير استمرار تنظيم مسلح في خياراته حتى وهو يخاطر بتآكل حاضنته الاجتماعية؟ ويلاحظ هذا التحليل أن الحزب في هذه المرحلة يميل نحو الاعتماد على آليات السيطرة التنظيمية أكثر من بناء الإجماع الأيديولوجي، لكن هذا التفسير يبقى تقديراً لا يقيناً، وتظل اختبارات الحاضنة الاجتماعية أداة قياس دقيقة لمعرفة حدود هذا التأويل.

> **أفضى التصعيد الإسرائيلي إلى تهجير ما يزيد على مليون شخص معظمهم من المناطق ذات الغالبية الشيعية**

خامساً: العامل الجيوسياسي – القيود الأمريكية والمتغير السوري

لا يمكن قراءة إطار عمل الحزب بمعزل عن محيطه الجيوسياسي الإقليمي، ففي السياق اللبناني تحديداً يُلاحظ أن التنسيق الأمني الأمريكي–الإسرائيلي ينطوي على قيود وتوترات داخلية تتعلق بالحالة اللبنانية، إذ تتقاطع اعتبارات واشنطن الدبلوماسية أحياناً مع أهداف إسرائيلية تميل نحو مواجهة أشمل. هذا التوتر – إن صح تقديره – يُتيح للحزب هامشاً عملياتياً أوسع مما قد يبدو في النظرة الأولى.

أما المتغير الأكثر أثراً على إطار عمل الحزب فهو سقوط نظام بشار الأسد في سوريا، فهذا السقوط أفقد الحزبَ خطوطَ إمداده الرئيسية القادمة من إيران عبر الأراضي السورية، وهو ما يراه معظم المحللين من أكثر العوامل الهيكلية تأثيراً على قدراته

العملياتية في المدى المتوسط، فالتنظيم الذي اعتمد تاريخياً على ممر إمداد شبه مستمر بات يعمل في ظل قيود لوجستية بنيوية جوهرية.

وتبقى الساحة اللبنانية ضمن نطاق الاهتمام الاستراتيجي الإيراني، رغم التحديات الداخلية الجسيمة التي تواجهها طهران، وإن كانت قدرتها على الإمداد والتنسيق العملياتي قد تراجعت مقارنة بما كانت عليه قبل اندلاع الأحداث.

سادساً: من يستطيع قراءة هذا الإطار؟ تقييم مقارن

من الإفادة المنهجية تقييم درجة قدرة الفاعلين المختلفين على قراءة إطار عمل الحزب وتفسيره، إذ يُساعد ذلك على فهم طبيعة كل مصدر وقيوده.

المحللون المرتبطون بـ"محور المقاومة» يقرؤون السلوك بوصفه «مقاومة مشروعة ومستمرة»، حيث يُعدّ كل ثمن مقبولاً في سبيل المشروع الإقليمي. ورغم المبالغة فقراءتهم غنية بالتفاصيل الداخلية، لكنها مقيّدة بأطر أيديولوجية تُصعّب الموضوعية المنهجية.

المحللون الاستراتيجيون الغربيون يقرؤون السلوك بوصفه «دفاعاً هيكلياً ليس إلا» لفاعل غير حكومي فقد زمام المبادرة الكاملة، ومستميت من أجل البقاء المؤسسي ضمن منظومة إقليمية متخلخلة تحت الضغوط، رؤيتهم تدمج المتغيرات العسكرية والسياسية والاقتصادية، لكنها تفتقر أحياناً إلى العمق الداخلي اللبناني.

المحللون العسكريون الإسرائيليون يمتلكون أدق المعلومات العملياتية الميدانية، لكنهم يواجهون كغيرهم ميلاً طبيعياً نحو تضخيم دلالة الإنجازات الإسرائيلية الميدانية وتقليل صعوبات الحسم السياسي على المدى البعيد.

المحللون اللبنانيون والعرب هم الأكثر إدراكاً للتعقيدات الداخلية والانقسامات البنيوية، لكنهم يجدون صعوبة أحياناً في الفصل بين المنظور التحليلي والمنظور القيمي، وهو أمر مفهوم في سياق أزمة إنسانية بالغة التعقيد.

أما المراقبون الرسميون الدوليون فيمتلكون قاعدة معلوماتية أوسع، لكن تحليلاتهم تبقى في معظمها سرية، ويعملون ضمن قيود دبلوماسية تُحدد ما يمكن الإفصاح عنه.

الاستنتاج المنهجي: لا يمكن لأي فاعل منفرد أن يُحيط بإطار عمل الحزب كاملاً، لأن هذا الإطار – إن وُجد بالفعل – مركّب من طبقات متداخلة: طبقة عسكرية–تكنولوجية، وطبقة جيوسياسية–إقليمية، وطبقة داخلية–لبنانية، وكل مصدر يُضيء جانباً ويُغفل آخر. ومن هنا تأتي أهمية تعدد المصادر والإقرار بقيودها.

> **لا يمكن لأي فاعل منفرد أن يُحيط بإطار عمل الحزب كاملاً لأن هذا الإطار – إن وُجد بالفعل – مركّب من طبقات متداخلة**

الخاتمة: استنتاجات في حدودها المنهجية وقيودها المعرفية

يخلص هذا الاستقراء، ضمن حدوده المنهجية المُعلَنة وبالاستناد إلى طيف واسع من الافتراضات والتحليلات المتباينة إلى جملة من الاستنتاجات المقدَّمة بوصفها تفسيرات سلوكية احتمالية، لا أحكاماً قاطعة.

أولاً: غياب الاستراتيجية الشاملة المتماسكة

يُشير السلوك الملاحَظ إلى أن الحزب لا يعمل في صورته الراهنة وفق استراتيجية شاملة متماسكة ذات أهداف قابلة للتحقق في موازين القوى القائمة، بقدر ما يتحرك في كثير من الأحيان عبر استجابات عالية التكلفة وردود فعل تكيّفية مضطربة، ومن المؤكد أن الفجوة بين الخطاب الرسمي الداخلي وما يمكن ملاحظته على أرض الواقع واسعة، ويصعب تفسيرها وفق منطق استراتيجي عقلاني تقليدي. وهذا لا يعني أن الحزب يعمل بلا إطار، بل يعني أن إطاره –إن وُجد– يختلف في طبيعته عن الاستراتيجية التقليدية القائمة على أهداف قابلة للقياس.

ثانياً: الاستمرار رغم الخسائر المتواصلة

تعرّض الحزب لسلسلة طويلة من الاغتيالات والاستهدافات الدقيقة التي طالت شخصيات من أعمدة بنيته القيادية والعسكرية، فضلاً عن ضربات طالت بنيته التحتية اللوجستية، ومع ذلك يواصل عملياته وإن تراجعت وتيرتها مقارنة بما قبل ٢٠٢٤م. والتفسير الأرجح لهذا الاستمرار ليس القوة، بل ما يمكن تسميته بـ "الضرورة التنظيمية/الهيكلية»: التوقف قد يعني تفككاً داخلياً، وهو ما يُحاول الحزب تفاديه بأي ثمن، وقد تعتبر من زاوية أكثر وضوحاً (تورطًا تنظيميًا)؛ أي أن الحزب محشور في زاوية ضيقة.

ثالثاً: عدم التكافؤ وصعوبة الحكم

حتى وإن تمكن الحزب في مراحل معينة من إيجاد قدر من الضغط على شمال إسرائيل، تبقى المقارنة الشاملة بين الطرفين، وفق معظم القراءات غير متكافئة على أصعدة متعددة: الخسائر البشرية، والأضرار المادية، وحجم التهجير، وعمق تأثير الضربات على القرى والبنى التحتية والمنشآت. بيد أن هذا اللاتكافؤ لا يُلغي بالضرورة فعالية الاستنزاف بوصفه أداة ضغط سياسي–نفسي على المدى القريب، وهو ما يُعقّد أي حكم بسيط على نتائج المرحلة.

رابعاً: إشكالية التأطير العقلاني للسلوك

يصعب تأطير سلوك الحزب ضمن إطار استراتيجي عقلاني تقليدي، فجزء من هذا السلوك يمكن قراءته – وهذه قراءة احتمالية لا يقينية – بوصفه نتاج تضييق بنيوي لمساحة الخيار الحقيقي لا تعبيراً بالضرورة عن إرادة استراتيجية واضحة، وهذا ما

> **تعرّض الحزب لسلسلة طويلة من الاغتيالات والاستهدافات الدقيقة التي طالت شخصيات من أعمدة بنيته القيادية والعسكرية**

يجعل تحليل الحزب عسيراً: التمييز بين «الاستراتيجية المقصودة» و«السلوك الذي فرضه الواقع» يبقى أمراً غير حاسم من المصادر المفتوحة.

خامساً: مآلات التماسك الداخلي

تفترض هذه القراءة المستقبلية أنه في حال الوصول إلى تسويات كبرى أو طرح خيار تفكيك الحزب ضمن ترتيبات سياسية وأمنية شاملة، فقد يُصار إلى دمج جزء واسع من عناصره تدريجياً في مؤسسات الدولة اللبنانية أو في الحياة المدنية، غير أن هذا المسار قد يطرح تحديات أكثر تعقيداً بالنسبة للقيادات العليا، التي قد لا تثق بوجود ملاذات آمنة حقيقية يمكن الركون إليها داخلياً أو خارجياً، سواء بسبب التعقيدات الأمنية أو الحسابات السياسية أو مخاوف الملاحقة والاستهداف، وهو ما يُبقي سؤال "اليوم التالي" مفتوحاً على احتمالات متعددة.

الاستنتاج الختامي: الفهم لا الحكم

في نهاية هذه المقاربة التحليلية، يمكن القول إن إطار عمل حزب الله منذ هدنة أبريل ٢٠٢٦م، يُشير بقراءة سلوكية احتمالية إلى أنه يعمل وفق ما يمكن وصفه بـ "إدارة الاستمرارية التنظيمية»: محاولة الحفاظ على الهيكل المؤسسي والوظيفة الإقليمية في ظل ضغط متعدد الأوجه، لا تحقيق نصر بالمعنى العملياتي التقليدي. بيد أن السؤال يبقى مفتوحاً: هل هذا خيار استراتيجي واعٍ، أم استجابة تكيّفية تفرضها الضرورة؟

نقطة الضعف البنيوية في هذا الإطار أن الحزب قد ينجح تكتيكياً ويتعثر استراتيجياً، فحتى لو نجح الحزب في إدامة الضغط وتكريس حالة من عدم الاستقرار، فهو في المقابل يواجه ضغطاً داخلياً متصاعداً من دولة تتحرك باستقلالية متزايدة، ومجتمعاً يُبدي إشارات تعب موثّقة، وقيوداً لوجستية بنيوية ناجمة عن انقطاع خط الإمداد السوري.

والإجابة الحاسمة عما إذا كان الحزب سيخرج من هذه المرحلة أقوى أم أضعف تتوقف على عاملين رئيسيين قابلين للرصد: مدى قدرته على إعادة بناء خطوط الإمداد في ظل الواقع السوري الجديد- وتلك حالة شبه ميؤوس منها-، ومآل المسار الدبلوماسي اللبناني المستقل الذي يتحرك لأول مرة بعيداً عن تأثير الحزب.

ما لا يستطيع هذا الاستقراء تقديمه، هو حكم قاطع على «الاستراتيجية الحقيقية» للحزب؛ فذلك يتطلب معلومات داخلية لا تتوفر في المصادر المفتوحة، وما يمكن تقديمه هو هذا الاستقراء للسلوك، مع الإقرار الكامل بأن هذا الاستقراء يبقى تفسيراً احتمالياً واحداً من بين تفسيرات ممكنة متعددة. والفهم العام حتى حين -يبقى جزئياً ومقيّداً-، أجدى من الحكم المتسرع، والأمانة المنهجية أثمن من اليقين. ولولا دواعي التحفظ الأكاديمي لانتهى هذا الاستقراء بالقول:

"إن الحزب ينتحر بسلاحه".

قد ينجح الحزب تكتيكياً ويتعثر استراتيجياً فحتى لو نجح في إدامة الضغط وتكريس عدم الاستقرار فهو يواجه ضغطاً داخلياً متصاعداً من دولة تتحرك باستقلالية متزايدة

Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

Gulf Research Center Jeddah (Main office)

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Foundation

Avenue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
Email: info@grc.net

Gulf Research Centre Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center Foundation Brussels

4th Floor
Avenue de
Cortenbergh 89
1000 Brussels
Belgium
grcb@grc.net
+32 2 251 41 64